

المحاضره الاولى (العولمة والثقافة)

اولا : العولمة .. النشأة والمفهوم :

يذهب بعض الباحثين إلى أن العولمة ليست وليدة؛ بل هي عملية تاريخية قديمة مرت عبر الزمن بمراحل ترجع إلى بداية القرن الخامس عشر إلى زمن النهضة الأوروبية الحديثة حيث نشأت المجتمعات القومية .. فبدأت العولمة ببزوغ ظاهرة الدولة القومية عندما حلت الدولة محل الإقطاعية، مما زاد في توسيع نطاق السوق ليشمل الأمة بأسرها بعد أن كان محدوداً بحدود المقاطعة .

إن الدعوة إلى إقامة حكومة عالمية، ونظام مالي عالمي موحد والتخلص من السيادة القومية بدأت في الخطاب السياسي الغربي منذ فترة طويلة فهذا هتلر يقول في خطابه أمام الرايخ الثالث: " سوف تستخدم الاشتراكية الدولية ثورتها لإقامة نظام عالمي جديد" وفي كتابات الطبقة المستتيرة عام ١٧٨٠: " من الضروري أن نقيم إمبراطورية عالمية تحكم العالم كله " .

وجاء في إعلان حقوق الإنسان الثاني عام ١٩٧٣: " إننا نأسف بشدة لتقسيم الجنس البشري على أسس قومية . لقد وصلنا إلى نقطة تحول في التاريخ البشري حيث يكون أحسن اختيار هو تجاوز حدود السياسة القومية ، والتحرك نحو بناء نظام عالمي مبني على أساس إقامة حكومة فيدرالية تتخطى الحدود القومية "

ولفظة العولمة هي ترجمة للمصطلح الإنجليزي (Globalization) وبعضهم يترجمها بالكونية، وبعضهم يترجمها بالكوكبية، وبعضهم بالشوملة ، إلا إنه في الآونة الأخيرة اشتهر بين الباحثين مصطلح العولمة وأصبح هو أكثر الترجمات شيوعاً بين أهل السياسة والاقتصاد والإعلام . وتحليل الكلمة بالمعنى اللغوي يعني تعميم الشيء وإكسابه الصبغة العالمية وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله. يقول "عبد الصبور شاهين" عضو مجمع اللغة العربية: " فأما العولمة مصدرأ فقد جاءت توليداً من كلمة عالم ونفترض لها فعلاً هو عولم يعولم عولمة بطريقة التوليد القياسي ... وأما صيغة الفعل التي تأتي منها العولمة فإنما تستعمل للتعبير عن مفهوم الأحداث والإضافة ، وهي مماثلة في هذه الوظيفة لصيغة التفعيل" .

وكرثت الأقوال حول تعريف معنى العولمة حتى أنك لا تجد تعريفاً جامعاً مانعاً يحوي جميع التعريفات وذلك لغموض مفهوم العولمة ، واختلافات وجهة الباحثين فتجد للاقتصاديين تعريف ، وللسياسيين تعريف ، وللإجتماعيين تعريف وهكذا ، ويمكن تقسيم هذه التعريفات إلى ثلاثة أنواع : ظاهرة اقتصادية ، وهيمنة أمريكية ، وثورة تكنولوجية واجتماعية .

النوع الأول : أن العولمة ظاهرة اقتصادية :

عرفها الصندوق الدولي بأنها : التعاون الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم والذي يحتمه ازدياد حجم التعامل بالسلع والخدمات وتنوعها عبر الحدود إضافة إلى رؤوس الأموال الدولية والانتشار المتسارع للتقنية في أرجاء العالم كله .

وعرفها "روبنز ريكابيرو" الأمين العام لمؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والنمو - بأنها : العملية التي تملي على المنتجين والمستثمرين التصرف وكأن الاقتصاد العالمي يتكون من سوق واحدة ومنطقة إنتاج واحدة مقسمة إلى مناطق اقتصادية وليس إلى اقتصاديات وطنية مرتبطة بعلاقات تجارية واستثمارية .

وقال محمد الأطرش : " تعني بشكل عام اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة ، وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق ، وتاليا خضوع العالم لقوى السوق العالمية ، مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة ، وأن العنصر الأساسي في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية الضخمة متخطية القوميات .

وعند صادق العظم هي : " حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها ، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ.

التعريف الثاني : إنها الهيمنة الأمريكية :

قال محمد الجابري : " العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه ، وهو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات ، على بلدان العالم أجمع . فهي بهذا التعريف تكون العولمة دعوة إلى تبني إيديولوجية معينة تعبر عن إرادة الهيمنة الأمريكية على العالم . ولعل المفكر الأمريكي " فرانسيس فوكوياما " صاحب كتاب " نهاية التاريخ " يعبر عن هذا الاتجاه فهو يرى أن نهاية الحرب الباردة تمثل المحصلة النهائية للمعركة الإيديولوجية التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية وهي الحقبة التي تم فيها هيمنة التكنولوجيا الأمريكية

التعريف الثالث : إنها ثورة تكنولوجية واجتماعية :

يقول الاجتماعي "جيمس روزانو" في تعريفها قائلًا : " العولمة علاقة بين مستويات متعددة للتحليل : الاقتصاد ، السياسة ، الثقافة ، الإيديولوجيا ، وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج ، تداخل الصناعات عبر الحدود ، انتشار أسواق التويل ، تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول ، نتائج الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة . وعرفها بعضهم بأنها : "الاتجاه المتنامي الذي يصبح به العالم نسبياً ككرة اجتماعية بلا حدود . أي أن الحدود الجغرافية لا يعتبر بها حيث يصبح العالم أكثر اتصالاً مما يجعل الحياة الاجتماعية متداخلة بين الأمم" .

فهو يرى أن العولمة شكل جديد من أشكال النشاط ، فهي امتداد طبيعي لانسحاب المعارف ويسر تداولها تم فيه الانتقال بشكل حاسم من الرأسمالية الصناعية إلى المفهوم ما بعد الصناعي للعلاقات الصناعية .

وهناك من يعرفها بأنها : " زيادة درجة الارتباط المتبادل بين المجتمعات الإنسانية من خلال عمليات انتقال السلع ورووس الأموال وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات " . وعرفها إسماعيل صبري تعريفاً شاملاً فقال : " هي التداخل الواضح لأموال الاقتصاد والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية .

وبعد قراءة هذه التعريفات ، يمكن أن يقال في تعريف العولمة : أنها سرعة تدفق السلع والخدمات والأموال والأفكار والبشر بين العالم بغير حدود ولا قيود باستخدام الوسائل الإعلامية ، والشركات الرأسمالية الكبرى وتعميمها على العالم .

ومن أبرز تعريفات العولمة :

- 1- إخضاع العالم لقوانين مشتركة تضع حدًا فيه لكل أنواع السيادة .
- 2- صياغة جديدة لخطوات إطارية قديمة غرضها الباقي المستمر هو تكريس الهيمنة الثقافية والاقتصادية والسياسية للقوى وتوطيدها .
- 3- سيادة النمط الغربي في الثقافة والاقتصاد والحكم والسياسة في المجتمعات البشرية كلها .
- 4- استعمار جديد أقل تكلفة من سابقه .
- 5- صيرورة العالم واحدًا .
- 6- توجه ودعوة تهدف إلى صياغة حياة الناس لدى جميع الأمم ومختلف الدول وفق أساليب ومناهج موحدة بين البشر، وإضعاف الأساليب والمناهج الخاصة .

ويلاحظ من خلال التعريفات السابقة التركيز على معنى الهيمنة والإخضاع عند المنتقدين للعولمة بناء على خلفيتهم الثقافية؛ إلا أن بعض التعريفات نحت منحى آخر يركز على جوانب التفاعل والتقارب بين الأمم والشعوب، ومن أمثلة ذلك :

- 1- التبادل الثقافي والتجاري وغيرها للتقارب والاستفادة المتبادلة .
- 2- التداخل الواضح لأموال الاقتصاد والاجتماع والسياسة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة ودون حاجة إلى إجراءات حكومية .

٣- سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق الكوني .

٤- اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق .

٥- مرحلة جديدة من مراحل بروز وتطور الحداثة تتكشف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي حيث يحدث تلاحم غير قابل للفصل بين الداخل والخارج، ويتم فيها ربط المحلي والعالمي بروابط اقتصادية وثقافية وسياسية وإنسانية .

٦- دمج سكان العالم اقتصادياً وثقافياً وسياسياً في مجتمع عالمي واحد بحيث يصبح كل من على كوكب الأرض جيراناً في عالم واحد .

ويبدو أن هذه المجموعة الأخيرة من المعرفين مالت إلى الجانب النظري والشعارات المعلنة لمسيري العولمة اليوم. ونظرت بطريقة مثالية غير واقعية؛ لأن هذا التبادل الثقافي والتجاري والدمج العادل بين سكان العالم لا يحصل إلا بين الأنداد المتقاربين في القوة فإنهم حينئذٍ يمتلكون القدرة على الاختيار والانتقاء، أو الرفض والإباء .

أما المجموعة الأولى من المعرفين فقد غلبت الجانب الواقعي الذي نعيشه اليوم للعولمة؛ لأن الأقوياء فقط - وهم قلة - يختارون ما يفرضونه على الضعفاء وهم كثرة، فيفرضون التبعية الثقافية والسياسية والاقتصادية،

ثانياً : أهداف العولمة :

تسعى العولمة دائماً إلى تحقيق الأهداف التالية :

١- الوصول إلى سوق عالمي مفتوح بدون حواجز أو فواصل جمركية أو إدارية أو قيود مادية أو معازل عرقية أو جنسية أو معنوية أو عاطفية .

بما يعني إقامة سوق متنوع ممتد يشمل العالم كله ويشمل كل مؤسساته وأفراده .

٢- أي الوصول بالعالم كله إلى أن يصبح كتلة واحدة متكاملة ومتفاعلة وفي نطاق هذا الهدف يتم احتكار مباشر وغير مباشر بين كافة الأجناس البشرية بموروثهم الحضاري وثقافتهم المتعددة واختلافهم الفكري وصهر هذا الاختلاف في بوتقة التوحيد والائتلاف ولا ننسى أن ذلك من وجهة نظر مصدري العولمة .

٣- الوصول إلى شكل من أشكال التجانس العالمي سواء من خلال تقليل الفوارق في مستويات المعيشة أو في الحدود الدنيا لمتطلبات الحياة أو في حقوق الإنسان وخاصة أن هذا التجانس لا يكون بالتماثل ولكنه قائم على التعددية والتنوع وعلى التشكيل الدافع والحافز إلى الارتقاء والتطور الذي يرتفع بوجوده الحياة ومن ثم نختفي الأحقاد والمطامع وتزداد المودة والألفة ومن ثم يتحول الانتماء والولاء إلى رابطة إنسانية عامة شاملة تشمل كل البشر وتتحوّل قيمة الحياة معها إلى قيمة الحرية وقيم العدل وقيم المساواة .

٤- تنمية الاتجاه نحو إيجاد لغة اصطلاحية واحدة تتحوّل بالتدريج إلى لغة وحيدة للعالم يتم استخدامها وتبادلها سواء بالتخاطب بين البشر أو بين الحاسبات الإلكترونية أو ما بين مراكز تبادل البيانات وتخليق وصناعة المعلومات وإن كان هذا هدف بعيد التحقق في المدى القريب .

٥- الوصول إلى وحدة إنسانية جمعاء ويستخدم لتحقيق هذا الهدف قدر متعاضد من الحراك الحضاري لتأكيد وفرض الهوية العالمية ولتحقيق تحسينات مضافة في الوجدان والضمير الإنساني وتنمية الإحساس بوحدة البشر ووحدة الحقوق لكل منهم سواء ما كان مرتبطاً بحق الحياة وحق الوجود وحق الاستمرار .

٦- تعميق الإحساس والشعور العام والمضمون الجوهرية بالإنسانية وإزالة كل أشكال التعصب والتمييز العنصري والنوعي وصولاً إلى عالم إنساني بعيداً عن التعصب والتناقضات الأثنية أو العرقية أو الطائفية تحت أي شكل من أشكال التمييز .

7- انبعث وبعث رؤية جديدة بمثابة حركة تنوير كبرى واستبصار وتبصير فاعله تسرى وتداعب طموحات البشر باختلاف أجناسهم وشعوبهم ودولهم وتخاطب أحلامهم ومن ثم تصبح الرؤية فاعلة في المنظور البشري سواء من حيث الضمير أو من حيث الطموحات .

ثالثاً : بين العولمة والثقافة :

يلعب مفهوم الثقافة Culture دوراً بارزاً في مختلف العلوم الإنسانية وخاصة العلوم الاجتماعية كعلم الاجتماع Sociology وعلم الإنسان Anthropology وعلم الإدارة Management وعلم النفس Psychology ويهتم علم الأنثروبولوجيا الثقافية Culture Anthropology بدراسة الثقافات المختلفة ويتخذها محوراً لاهتمامه هو السمة الغالبة لهذا العلم تؤكد على الإطار الثقافي كما تطور من الماضي إلى الحاضر .

ومعظم الباحثين يعدون الثقافة مجرد مجال من مجالات العولمة شأنها في ذلك شأن السياسة والاقتصاد .

إلا أن نظرة فاحصة لأهداف العولمة وبرامج من يسعون في صبغ العالم بها تؤكد عدم دقة هذه النظرة ذلك أن العولمة الثقافية هي الهدف النهائي، وما العولمة الاقتصادية والسياسية إلا وسائل للوصول إلى هذا الهدف، ومن الشواهد الواضحة على ذلك السعي إلى فرض القيم التي تحملها الثقافة الأمريكية اليوم على الأمم الأخرى، ومنها الأمة المسلمة وما يتبع ذلك من استخدام السياسة والاقتصاد كوسائل لتحقيق هذا الهدف؛ فمنزلة الثقافة من العولمة بمنزلة الرأس من الجسد .

ويعتبر إدوارد تايلور E.Tylor أول من وضع تعريفاً للثقافة بأنها ذلك الكل الذي يتضمن المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والعادات وأي قدرات اكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع .

وقد عرفها كروبيير Kroeber بأنها كل ما صنعه عقل الإنسان من أشياء ومظاهر اجتماعية في بيئته الاجتماعية أي كل ما قام باختراعه وباكتشافه الإنسان وكان له دور في مجتمعه .

كما قدم البعض تعريفاً شاملاً للثقافة فهي في نظرهم تعني كل ما صنعه الإنسان في بيئته خلال تاريخه الطويل في مجتمع معين وتشمل اللغة والعادات والقيم وأداب السلوك العام والأدوات والمعرفة والمستويات الاجتماعية والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية والفنانية .

فهي تمثل التعبير الأصلي عن الخصوصية التاريخية والثقافة تمثل التعبير الأصلي عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان وقدراته وما ينبغي أن يعمل وما لا ينبغي أن يعمل أو يأمل لقد أصبح موضوع الثقافة محل اهتمام كثير من المهتمين في العلوم الإنسانية .

وهناك من يرى أن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفنون والقيم والعادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع وهناك من يرى أن الثقافة عبارة عن تنظيم يشمل مظاهر لأفعال وأفكار ومشاعر يعبر عنها الإنسان عن طريق الرموز أو اللغة التي يتعامل معها .

على أن تلك المفاهيم جميعاً تدور حول معنى واحد وهو أن الثقافة كل مركب من مجموعة مختلفة من ألوان السلوك وأسلوب التفكير والتكامل والتوافق في الحياة التي اصطلح أفراد مجتمع ما على قبولها .

فأصبحوا يتميزون بها عن غيرهم من باقي المجتمعات ويدخل في ذلك بالطبع المهارات والاتجاهات التي يكتسبها أفراد المجتمع وتناقشتها في صور وأشكال مختلفة أجيال بعد أخرى عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي وعن طريق نقل تلك الخبرات من جيل إلى جيل وقد يتناقضونها كما هي أو يعدلون فيها وفق تغير الظروف وحاجتهم ولكن الجوهر يبقى كما هو .

الثقافة هي ذلك الجزء من البيئة الذي يقوم الإنسان بنفسه على صنعه متمثلاً في الأفكار والمثل والمعارف والمعتقدات والمهارات وطرق التفكير والعادات وطرق معيشة الأفراد وقصصهم وموضوعات الجمال وأدواته عندهم ووسائلهم في الإنتاج .

الثقافة هي وليدة البيئة وثمرتها التفاعل بين الأفراد لبيئتهم لذلك كان من الطبيعي أن تتعداً بيئياً وتختلف باختلاف البيئات، لأن هذه الأخيرة مختلفة اختلافاً واضحاً وكان من الطبيعي كذلك أن تتعدد تعريفاتها وتختلف .

على الرغم مما يظهر بين الثقافات من اختلاف أو تباين فهناك بعض الخصائص لجميع الثقافات هذه الخصائص التي تستند الى المفهوم العام الشامل ومن هذه الخصائص العامة :

١- الثقافة ذات خاصية مادية ومعنوية معاً : ثقافة المجتمع تحدد نمط وأسلوب الحياة في هذا المجتمع والعناصر المادية هي عبارة عن تلك العناصر التي انتت نتيجة للجهد الانساني العقلي والفكري وفي نفس الوقت لا تكتسب الثقافة وظيفتها ومعناها إلا بما يحيطها من معاني وأفكار واتجاهات ومعارف وعادات .

٢- الثقافة عضوية : اذا كانت الثقافة تشتمل على العناصر المادية واللامادية معاً فإن كلاً من العناصر المادية وغير المادية يرتبط ببعضها البعض ارتباطاً عضوياً فيؤثر كل عضو في غيره من العناصر كما يأتى به فالنظام الاقتصادي يتأثر بالنظام السياسي والعكس صحيح .

٣- الثقافة مكتسبة : الثقافة ليست فطرية في الانسان بل يتعلمها الأفراد وينقلوها من جيل الى جيل ويخطئ من يذهب الى اعتبار الثقافة فطرية في الانسان يكتسب الثقافة منذ سنواته الاولى حتى تصبح جزءاً من شخصيته كما يصبح هو عنصراً من عناصر هذه الثقافة .

٤- الثقافة تراكمية : تتميز بعض عناصر الثقافة بالتراكم ذلك ان الانسان يبدأ دائماً من حيث انتهت الأجيال الأخرى وما تركته من تراث وبتراكم الجوانب المختلفة تتطور بعض جوانب الثقافة وتختلف درجة التراكم والتطور من عنصر إلى آخر .

٥- امكانية انتقال عناصر الثقافة بالاحتكاك : كلما زاد الاحتكاك والتعامل بين مجتمع وآخر كلما زادت درجة الانتقال الثقافي بين هذين المجتمعين ولكن المجتمع ذو الثقافة الاقوى والأفضل يؤثر بدرجه اكبر في المجتمع الأضعف .

٦- إن الثقافة يتم تعلمها ، بمعنى أنها مكتسبة إذ أن الإنسان يكتسب عناصر الثقافة بالتعليم من المجتمع الذي يعيش فيه بالإضافة إلى أنه يمكن نقل عناصر الثقافة عبر الأجيال المختلفة وهذا ما يميز الإنسان عن الحيوان .

وتتميز الثقافة بتمايزها واستقلالها عن الأفراد الذين يحملونها ويمارسونها في حياتهم اليومية ونجد أن العلماء الذين تعرضوا لمشكلة تعريف الثقافة يعطون أهمية كبرى لعنصر " التعليم " أو " الاكتساب " ويبعدون عنها بالتالي كل ما هو غريزي أو فطري أو موروث بيولوجيا . وعلى ذلك فإن معظم هذه التعريفات تؤكد أن الثقافة هي حصيلة العمل والاختراع والابتكار الاجتماعي ، أو أنها حصيلة النشاط البشري ، وأن وجودها بذلك غير مرتبط بوجود الأفراد من حيث هم أفراد وحين يتكلم علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع عن ثقافة شعب من الشعوب فإنهم يقصدون على العموم طرائق المعيشة وأنماط الحياة وقواعد العرف والتقاليد والفنون والتكنولوجيا السائدة في ذلك المجتمع والتي يكتسبها أعضاؤه ويلتزمون بها في سلوكهم وفي حياتهم .

٨- الثقافة متغيره فهي في نمو مستمر وتغير دائم فأى تغير في عنصر من عناصرها يؤثر على غيره من العناصر .

٩- تنبئية : بما انها تحدد سلوك وأسلوب الافراد بالإمكان التنبؤ بما يمكن ان يتصرف به فرد معين ينتمي الى ثقافة معينة .

١٠- تراكمية : ان الثقافة ذات طابع تاريخي تراكمي عبر الزمن فهي تنتقل من جيل الى الجيل الذي يليه بحيث يبدأ الجيل التالي من حيث انتهى الجيل الذي قبله وهذا يساعد على ظهور أنساق ثقافيه جديدة .

وكما أن للثقافة خصائص تسعى الى إثباتها والحفاظ عليها ، فإن للعولمة خصائص أصبحت هي الأخرى تقاتل من أجل تحققها ومن تلك الخصائص المرتبطة بالعولمة ما يلي :

١- سيطرة الشركات المتعددة الجنسيات على اقتصاديات العالم .

٢- بروز أحادية القطب التي تعد من أهم سمات العولمة .

والتي تتمثل في الهيمنة الأمريكية على العالم والسيطرة السياسية والعسكرية والاقتصادية وامتلاك وسائل الاتصال والتكنولوجيا المتقدمة .

٣- تراجع دور الدولة وعجزها عن مواجهة الشركات متعددة الجنسيات التي حلت محل الدولة في بعض

الدول المتقدمة .

٤- تكوين نخبة من رجال الأعمال لا تنتمي إلى بلد معين، هدفها الأساسي السعي لنقل نشاطها في أي مكان وفق مقتضيات العائد المادي على نطاق عالمي .

٥- تحقيق الوحدة والألفة والتكامل بين البشر دون اعتبار للعرق أو الثقافة أو الطبقة الاجتماعية أو الخلفية

أو الطائفية .

٦- تؤدي العولمة إلى انقسام العالم إلى مناطق حضارية مغلقة وأخذ هذا الانقسام الشكل الثقافي والحضاري وأصبح أكثر وضوحاً من أي وقت مضى ويأتي هذا من منطلق الحفاظ على الهويات الوطنية .

اسئلة المحاضره الاولى

السؤال الاول : (عددي الاهداف التي تسعى العولمة الى تحقيقها) ؟

السؤال الثاني : (اشتهر في الاونة الاخيرة بين الباحثين مصطلح العولمة وأصبح من اكثر المصطلحات شيوعا بين اهل السياسة والاقتصاد والإعلام)

اشرحي العبارة السابقة في ضوء فهمك لمفهوم العولمة ؟